

سورة الشعراء

معاني الكلمات :

بائع نفسك : مهلكها حسرة .

آية : دلالة واضحة .

أعناقهم : جماعاتهم .

محدث : مجدد .

زوج كريم : صنف حسن من النبات .

لا ينطلق لسانى : لا أستطيع التوضيح .

ذنب : عقاب على ذنب سابق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة التكالييف الربانية .
- ٢ - أن يتعرف المؤمن على قدراته الحقيقة في دعوته .
- ٣ - أن يؤدى المؤمن دوره في دعوته بدون إفراط ولا تفريط .

المحتوى التربوى :

شأن هذه السورة كشأن السور المكية موضوعها العقيدة ، فتحدث السورة عن توحيد الله والخوف من الآخرة ، والتصديق بالرحى المنزل على محمد ، ثم التخويف من عاقبة التكذيب ، ثم تسلية الرسول وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن ، وطمأنة قلوب المؤمنين ، وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها ، وجسم السورة هو القصص القرآنى ، يغلب عليه جو الإنذار والتكذيب .

ثم تبدأ السورة بذكر أحرف مقطعة للتنبيه إلى أن آيات الله مؤلفة من مثل هذه الأحرف ، والكفار لا يستطيعون أن يصوغوا من هذه الأحرف مثل هذا الكتاب المبين فهؤلاء ضعاف أمام قوة الإيمان وقوة القرآن .

وبعد ذلك يخاطب الرسول ألا يؤذيه قول المشركين وتكذيبهم له وللقرآن ، فلو شاء الله لأهلك الكافرين بآية من عنده ، ولكن شاء الله أن يجعل القرآن هو معجزة هذه الرسالة ، ولم يشأ أن ينزل آية قاهرة مادية تلوى الأصناف في أمة بعينها ، بل هي رسالة مفتوحة لجميع الأمم في كل زمان ومكان ، يعطى كل طالب بقدر حاجته ، ويبقى رصيده لا ينفد بل يتجدد .

لكن الحس الخامد ، والذهن البليد ، والقلب المغلق يعرض عن ذكر ربه ، بل يقابل ذلك بالاستهزاء ، فيأتى التهديد اللازم المقابل لاستهزائهم أنهم سيذوقون العذاب ، فهم يطلبون آية خارقة ، ويغفلون عن آيات الله فيما حولهم ، وفيه الكفاية للقلب المفتوح والحس البصير ، وكل صفحة من صفحات هذا الكون العجيب آية تطمئن بها القلوب .

ومعجزة إخراج النبات الحى من الأرض ، وجعله ذكراً وأنثى ، إما منفصلين كما فى بعض فصائل النبات ، وإما مجتمعين . كما هو الغالب فى عالم النبات ، حيث تجتمع أعضاء التذكير وأعضاء الانثى فى عود واحد ، هذه المعجزة تتكرر فى الأرض حولهم فى كل لحظة ، والأمر لا يحتاج إلى أكثر من الرؤية .

واللفظ يوحى إلى النفس باستقبال صنع الله بها يليق من التكريم والحفاوة والاحتفال ، ولا بالاستهانة والغفلة والإغفال والإغفال ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ﴾ وهو يطلبون الآيات ، ولكن أكثرهم لا يؤمن بهذه الآية .

ويأتى التذييل : ﴿ وَإِنْ رَزَقْتَ لَهُمْ أَلْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ عزيز فى إظهار إبداع الآيات ، ورحمته أن يمهل المكذبين فلا يعذب الكفار حتى يأتيتهم نذير ، فيبعث الرسل بالتبصير والتنوير والتبشير والتحذير ، وهذا ما يفرضه الواقع الآن أن ينشط الدعاة ، ويبدلوا كل الوسع والطاقة ، لا يروا الواقع أسود ، بل يبددوا هذا بعزائهم القوية ، وبالنور الذى أمدهم به ، وهو كتاب ربهم وسنة نبيهم .

يقول صاحب الأساس : « تحدثت المقدمة عن كفاية هذه الآيات للإيمان ، وعن موقف أكثر الخلق منها ، وعن الحكمة فى عدم إنزال آيات غير ما أنزل ، ثم لفتت النظر إلى آية دالة على وجود الله ، وهى أصناف النبات ، ومع ذلك فإن الخلق لا يؤمنون ، فالعلة فيهم ومنهم ، وعلى الرسول أن يدرك ذلك وألا يحزن » .

ثم تأتى قصة موسى عليه السلام ، وفى المشهد الأول منها المناجاة بين موسى وربه عندما كلفه الله - عز وجل - بالرسالة ، وأن يذهب إلى فرعون ، فشكا موسى ضعفه ، وطلب إعانته بهارون وأن يكون رسولا معه ، وهذا ليس نكوصاً لا اعتذاراً عن الرسالة بل التقاء للتقصير فى أداء التكليف ، ولأن هارون أفصح منه لساناً وأهدأ انفعالاً ، وهكذا علمنا الكلم أن يعرف نفسه ، وكيف نهض بالدعوة ، وأن يكون كلٌّ فى موقعه الصحيح .

ويتابع موسى المناجاة ، ويتابع معه خوفه على الرسالة في قوله : ﴿ وَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون ﴾ فإن ذكره لهذا ليس للخوف من المواجهة والتخلي عن التكليف ، ولكن له علاقة بالإرسال إلى هارون ، فإذا قتلوه قام هارون بالرسالة من بعده ، يقول صاحب الظلال في ذلك : « هو الاحتياط للدعوة لا الداعية ، يحتاج في أن يحتبس لسانه في الأولى المشافهة ، والاحتياط في أن يقتلوه في الثانية ، فتتوقف دعوة ربه ، وهو على إبلاغها واطرادها حريص ، وهذا يليق بموسى ﷺ الذي صنعه الله على عينه - واصطنعه لنفسه » .

ومع حرص الداعية - موسى - وإشفاقه واحتياطه بطمثه الله أن معية الله تحوطه فهو يسمع ويرى للتعبير عن دقة الرعاية وحضور المعونة بالنصر والتأييد والغلبة في كل موقف .

ثم يعقب ذلك مشهد المواجهة مع فرعون بأن واجه موسى فرعون بمضمون الرسالة ، وأشدها على فرعون الذى ادعى الألوهية - بقوله أنه رسول من رب العالمين ، أى مواجهة صريحة مع أعتى العتاة ، ثم طلب تحرير قومه من العبودية والإذلال بإخراجهم من مصر ، بطلب ذلك الطلب الضخم ، وآخر عهده بموسى أن كان ربيباً في قصره منذ أن كان من حاشية فرعون ، فلما قال له موسى ذلك أعرض فرعون هنالك بالكلية ، ونظر إليه بعين الإزدراء والفحوص ، أما أنت الذى ربيناه فينا ، وفي بيتنا وعلى فراشنا ، وأنعمنا عليه مدة من السنين ، ثم بعد هذا قابلت ذلك الإحسان بتلك الفعلة ، أن قتلت منا رجلاً ، وجحدت نعمتنا عليك ، والملاحظ أن موسى حدد مطلباً رئيسياً من فرعون ، وهو الإذن لبنى إسرائيل في الخروج من مصر ، وهو مطلب سياسى ، .. والملاحظ أن فرعون قرّر من الجواب على هذا المطلب الرئيسى بتذكير موسى بنعمته عليه . وهكذا جمع فرعون كل ما حسبه رداً قاتلاً ، خاصة حكاية القتل وما فيها من تهديد ، وما يعقبها من قصاص ، فتغافل الطاغية عن الحقائق ؛ لأنه يعلم ضعفه وضعف حجته ولجأ لكل ما يلجأ إليه الضعفاء ، وظهر هذا الضعف فيما تلا هذه الآيات .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - التنبيه لبلاغة القرآن وإعجازه وتدبره ودراسته .

٢ - السعى في الدعوة إلى الله بنشاط دون كسل ودون إفراط في الأسى على عدم استجابة المدعوين .

٣ - أن يعلم الإنسان ويرى مقداره الحقيقى فلا يظلمها بتعظيمها وإلا يبخسها حقها ، ولا يتخرج من طلب الإعانة في الأمور الشاقة .

٤ - البعد عن الامتنان بالمعروف لأنه محبط للعمل الصالح .

معاني الكلمات :

حكماً : بنوة وعلماً .

عبدت بنى إسرائيل : اتخذتهم عبيداً لك .

بيضاء : تتلأأ كالشمس دون برص أو

بقع .

أرجه : أخره .

المدائن : أطراف مملكتك .

ليقات : للموعد المحدد .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يدرك المؤمن قيمة المعية الربانية .

٢ - أن يعرف المسلم العون الإلهي في حوار موسى مع فرعون .

٣ - أن يستعين المؤمن بربه في كل أموره الدعوية والحياتية والجهادية .

المحتوى التربوي :

تأتى الآيات لبيان معية الله ، فانطلق لسان موسى يجيب على فرعون : أنه فعل ما فعل بدافع العصبية لا العقيدة التى تعطينى الحكمة الآن ، وما تربيتى إلا فى بيتك إلا أنك اضطهدت قومى وقتلت أبناءهم ، فقدفتنى أُمى فى التابوت ، فلم أرب فى بيت أبى وأُمى وفى كفها وحنانها ، فهت فرعون من الجدال فى تلك المسألة ، فانه يعين أولياءه أمام الظالمين والعتاة عند الجدال والمحاجاة .

قال ابن كثير فى تفسير : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ﴾ أى : أحسنت إلى وربيتنى مقابل ما أسأت إلى بنى إسرائيل ، فجعلتهم عبيداً وخداماً ، أفبقى إحسانك إلى رجل منهم بما أسأت إلى مجموعهم وكان رداً فى غاية القوة ، وفيه درس للمستغلين بقضايا تحرير

أقوامهم من ظالمهم وجلادهم ، فلا يغفر سرقة الشعوب وإفساد المجتمعات وانتهاك الحرمات
بنائةً تشيد أو ما يشابه ذلك » .

وتتابع الردود الحجة بالحجة والكلمة بالكلمة ؛ لأن الصمت في مقام التبليغ عجز وتوان
وإخلال بالإمانة ، ففرعون - قبحه الله - يسأل : ما يارب العالمين ؟ افكان الجواب : إنه رب
السموات والأرض وما بينهما الذى لا يبلغ فيه سلطان فرعون ذرة أو هباء ، ويستمر ضعف
الظالم في نقل الخطاب لمن حوله ، ويستمر الرد المتصل بالمدد الربانى بأن رب السموات والأرض
هو رب آبائهم ، فهو نفى للألوهية عن فرعون في حضور بطانة السوء من حوله .

ولا يبالى الدعاة باتهامات المعارضين التى تكرر مع كل رسالة ، فيتهم موسى بالجنون فيستمر
العون الإلهى ، يقول موسى إنه رب المشرق والمغرب وما فيهما من العظمة فهما يدلان على
الشروق والغروب وكل منهما له مكان ، ولا يجادل فرعون في ذلك ؛ حتى لا يكون مصيره
كمصير النمرود .

والطغيان لا يخشى شيئاً كما يخشى يقظة الشعوب ، وصحوة القلوب ، ولا يكره أحدًا كما
يكره الداعين إلى الوعى واليقظة ، ولا ينغم على أحد كما ينغم على من يهزون الضمائر الغافية ،
ومن ثم ترى فرعون يهيج على موسى ويشور .

ويتتابع الحوار الذى فقد فيه فرعون القدرة على الجدل ، ولأنه إزاء الدعوة القوية الصريحة
التي تكاد تهز أوتار القلوب يلجأ لأسلوب الطغاة عندما تنتهى حججهم بتهديد موسى بأن
مصيره السجن ، والدعاة يتوقعون ذلك دائماً السجن والاعتقال والتشريد والتجوع ، فلم يُفقد
التهديدُ الداعيةَ موسى رباطةَ جأشه بل هو الذى يمسك بالحوار بإخراج فرعون أمام ملئه
بإظهار المعجزتين أمامه وأمام الملأ ، فأحس فرعون بضخامة المعجزة ، فأسرع يقاومها ، ويتملق
القوم بقوله : ﴿ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ ﴾ .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « حل فرعون حماية لطغيانه أمرين :

الأمر الأول : إنه بهذا لا يريد هداية وتعليماً وإرشاداً وإصلاحاً ، ولكن يريد أن يخرجكم من
أرضكم بسحره ، والإخراج يكون لكم سلطان فى الأرض ، بل يكون الأمر لغيركم وتكونون
عبيداً تعيشون على هامش الحياة فيها .

الأمر الثانى : أن يكون له سلطان عليكم ، وذلك ذهاب لسلطانكم ، وإخراجه لكم من
دياركم ، وإن ذلك كله بسحره ، وهذا ينبى عن الفزع ، ولكنه فزع يتصور الويل والشبور
وعظائم الأمور ، وإلا ما كان السحر ذاته مزيلاً للملك ، ومخرجاً من الديار .

وإنه في هذا يستحث قومه على معاندة موسى ، وألا يميلوا كل الميل له ؛ لأنه عدو الديار ، ويكل الأمر إليهم ﴿ فَمَآذَا تَأْمُرُونَ ﴾ ، يطلب استشارتهم متطامنا خاضعا وقد أحس أن الأمر يخرج عن سلطانه ، فيقول في استشارتهم فماذا تأمرون ، أى ما الذى تأمرون به ، وإنى أنفذه... .

ويعقب صاحب الظلال على ذلك بقوله : « تلك شئنة الطغاة حينما يحسون أن الأرض تنزل تحت أقدامهم ، عندئذ يلينون في القول بعد التجبر يلجؤون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام ، ويتظاهرون بالشورى إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر ، ثم إذا هم هم جبابرة مستبدون ظالمون ، وأشار عليه الملأ ، وقد خدعتم مكيدته ، وهم شركاء فرعون في باطله ، وأصحاب المصلحة في بقاء الأوضاع التى تجعلهم حاشية مقربة ذات نفوذ وسلطان ، وقد خافوا أن يغلبهم موسى وبنو إسرائيل على أرضهم لو اتبعتهم الجاهير ، حين ترى معجزتى موسى وتسمع إلى ما يقول » .

وتأتى نتيجة خديعته لقومه ولأنه استخف قومه فأطاعوه ، فأشاروا عليه أن يلقى سحره بسحر مثله ، ويأتوا السحرة المساحرين ، ولو فطن هؤلاء ما طلبوا ذلك ؛ لأن موسى وأخاه ليسا من السحرة المعروفين بالسحر ، فكيف يصدقون أنه ساحر ؛ وأنه عليهم بالسحر والسحرة لهم مقصد وهو المال وما إلى ذلك من متاع الحياة الدنيا وهم لم يرغبوا فى ذلك ، بل هم لم يطلبوا إلا إظهار الحقيقة الربانية بإفراد الألوهية لله ، وتحرير بنى إسرائيل من الظلم والاسترقاق ، ولكن المحاجة تستمر ، لإبطال كيد فرعون وتدبيره ، وفراعين اليوم نستطيع أن نبطل تدبيرهم ومكرهم باللجوء إلى الله ، وطلب المعية الربانية .

قال صاحب الظلال في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴾ « تظهر من التعبير حركة الإهاجة والتحميس للجاهير ، والجاهير تتجمع لمثل هذه الأمور ، دون أن تظن إلى أن حكايها الطغاة يلهون بها ويعبثون ، ويشغلونها بهذه المباريات والاحتفالات والتجمعات ، ليشغلها عما تعانى من ظلم وكبت وبؤس » .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - الشجاعة ورباطة الجأش في مواجهة الظالم ومرتكبى المنكرات مع الكياسة والحكمة .

٢ - لا مساومة في قضية التوحيد ، وإنما هى الحقيقة الأولى في الحوار والجدال .

٣ - أن يتوقع الداعية دائما كل اضطهاد وعنت ، وأن دعوة الله لا تلتقى ودعوة الشيطان .

٤ - الاستعانة بالأدلة الحسية من فنون وأساليب الدعوة إلى الله .

٥ - مشروعية الشورى في كل من الأمور .

عانى الكلمات :

بعزة فرعون : أى تقسم بعظمة فرعون .

لا ضرر : لا ضرر علينا فيما يصيبنا .

شرذمة : طائفة قليلة .

مقام كريم : منازل حسنة .

مشرقين : وقت شروق الشمس .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بفضل الله ومنته على المؤمنين .

٢ - أن يعرف المؤمن جوانب معية الله لموسى عليه السلام ومن معه .

٣ - أن يخطط المؤمن لكل أمور دعوته وحياته .

تفسير الآيات :

ويأتى مشهد جديد وهو مشهد السحرة بحضرة فرعون ، وهم يطلبون منه الأجر والمكافأة ، وهنا يظهر الفرق ، فموسى رسول من رب العالمين يأتى بمعجزات باهرة ، والسحرة جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية تبذل مهاراتها فى مقابل الأجر والقرب من عرش الطاغية ، لا علاقة لتلك الجماعة بعقيدة ، وهؤلاء يتخذهم الطغاة دأئيا .

يقول الإمام محمد أبو زهرة فى زهرة التفاسير : « أقر فرعون طلبهم أولا ، بقوله : (نعم) الدالة على استحقاقهم ، وعدالة طلبهم ، وقرر جزاءين :

الجزء الأول : الأجر ، وقال : إن لكم لأجرًا مؤكدًا الأجر بأنه لهم ، واستحقاقهم ، وإنه أجر كبير لتكثير أجزا - أى أجرًا عظيمًا لا يقادر قدره .

والجزء الثاني : الذى يعد جزاء كبيرا عند الملوك والطغاة ، وهو أن يكونوا مقربين ، وهذا التقريب إليه ، يتضمن مزايا معنوية في نظرهم ، وهو الرضا السامى ، كما كنا نسمع من عبارات الشناء على المقربين عند الملوك ، والذين كانوا يقلدون فرعون قى طفوانه ، وإن كانوا فى معاملة الرعية شرًا منه ، ويتضمن مزايا أخرى بأنهم يتألون جزاء عما يسلط على العباد بتسليطهم ، ويتضمن مكاسب مادية من السعاية والإفساد ... » .

ثم يأتى مشهد المباراة الكبرى وأحداثه الجسام ، والتحول العظيم عندما جمع السحرة أمرهم ، وألقوا حباهم مستعينين بعزة واهية هى عزة فرعون ، ويلقى موسى عصاه فتلقف حباهم ، ولا يبقى لها أثر فهزتهم المفاجأة ، وأزالت عنهم ركام الضلال ، فألقوا ساجدين ناطقين بكلمة الإيذان لا بموسى وهارون بل بربهما ، ويتحول القلب البشرى الذى هو كما قال رسول الله ﷺ : « ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه ، وإن شاء أزاعه » لأنهم علموا أن القضية ليست سحرا ، وأنهم أمام معجزات تجاوز قدرات البشر ، فالقضية هى العقيدة وأنهم ليسوا أمام ساحرين بل رسولين .

ولا زلنا نتابع التأييد الإلهى بالمعجزات لموسى وهارون وتثبيت قلوبهما ، وفطنة الكليم فى إظهار عجز فرعون وملته أمام الجماهير المحتشدة ، يتحول السحرة المأجورون إلى مؤمنين من خيار المؤمنين بعد أن عبأوهم بأكذوبة أن موسى الإسرائيلى ساحر .

هنا نستطيع أن نقدر دعر فرعون لهذه المفاجأة ودعر أتباعه من الظلمة حين يرون أن العروش تهدد ، فيلجؤون للتهديد والعقاب ، ويرمون المؤمنين بالتآمر وقلب الأنظمة باستخفاف الشعوب والباس الحق بالباطل ، فيتهم موسى الذى ربه فى بيته بأنه كبير السحرة .

ثم تتواصل ملحمة الإيذان فى هذا المشهد العظيم بقول المؤمنين : « لَا صَبْرَ » فلا خوف ولا هلع من تقطيع الأيدى والأجل من خلاف ، لا صبر فى التصليب والعذاب ؛ لأن مطعم المؤمنين غفران ذنوبهم ، وما يشفع لهم أنهم من السابقين إلى الإيذان . ومن هنا نلمح لما كان المسابقون إلى الدعوات الربانية هم أكثر الناس صبرا وتحملا للبلاء ، وأشد الناس حماسة لدعوة ربهم .

وتستمر العناية الإلهية ، والمعية الربانية بالوحى لموسى أن يخرج بقومه ليلا ، ويعلمه ربه بالسبب ، وهنا يجول الذهن ، ويقف عند الهجرة النبوية ، وأمر الله لرسوله بالخروج سرا ،

وقبلهما أمره - عز وجل - لنبيه لوط عليه السلام بأن يخرج بأهله ليلاً ، ولا يلتفت إليه أحد من القوم ، يلمح في ذلك كله التخطيط الدقيق ، والهجرة من ديار الكفر والسرية ، وتقدير قوة العدو .

ولا يزال اهللع يسيطر على فرعون مدعى الألوهية ، فيأمر بحشود الجموع ، وتجهيز الجيوش لموسى ومن معه الذين قاموا بالإعداد للخروج خلصة ، فأراد أن يقضى على الفئة المؤمنة التى إن خرجت ستزلزل عرشه وشخصه ، ويستدعى الذهن مؤامرات المشركين لقتل الرسول ورفض نفيه ، ومحاولات الظلمة والجباية منع الدعاة من الخروج خارج أوطانهم بل تعقبهم بكل السبل .

ويأتى موقف البطانة بطانة السوء فى صلفهم واستكبارهم بتهوين شأن موسى - عليه السلام - ومن معه بأن يتبعوا أمرهم ويجزموا مكائدهم ، كل ذلك للحفاظ على مراكزهم ولإظهار القوة والقرب من فرعون .

يقول صاحب الأساس : « وهكذا لخص الله لنا بأربع آيات تدبير فرعون ضد بنى إسرائيل ، وهو التدبير المستمر للطغاة فى كل العصور ضد أهل الحق : يحشرون الناس ، ويمجمونهم بسلطة السلطان ، فيعقدون الاجتماعات والندوات ، ويسيرون المسيرات للتوعية - فى زعمهم - ويقولون عن أهل الحق : إنهم فئة قليلة منحرفة عن إرادة الشعب ، وخارجة على إرادة الجماهير ، وأنهم يقومون بأعمال إجرامية ضد السلطة ، وأن على جميع الشعب أن يكون حذراً وواعياً ، إن مثل هذا التسجيل الخالد لفعل فرعون ، والذى ينطبق على كل زمان ومكان ، هو وحده معجزة ، ومن هنا نفهم سراً من أسرار القصص القرآنى ، وخصيصة من خصائصه إن القصة القرآنية نموذج خالد مستمر متكرر فيه عبرة وعظة ودروس لكل إنسان ، وفى كل زمان » .

ولكن منة الله تظهر سريعاً بوراثه موسى وبنى إسرائيل أموالهم وكنوزهم ، ولقد خرجوا يتبعون خطا موسى وقومه ، فكانت خرجتهم هذه هى الأخيرة ، وكانت إخراجا لهم من كل ما هم فيه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ، وهذا أول العذاب للظالمين بتجريدهم من النعيم الذى يرتعون فيه ، فعقاب الله للظالمين واقع بسلب النعم وجلب النقم ، وثوابه - عز وجل - للمؤمنين شامل بالسكينة ، ومنع العذاب ، ومنح الخيرات ، وكل ذلك لزيادة الدرجات .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - تنوع فنون الدعوة ، ومخاطبة كل فئة بما يناسبها .

٢ - فضل التسابق للإيمان ولعمل الخير ، والترغيب فى ذلك دائماً .

٣ - التخطيط الجيد ، وأخذ الحذر لمؤامرات الأعداء .

معاني الكلمات :

مدركون : ملحقون .

الطود العظيم : الجبل الشامخ الثابت .

أزلفنا : قربنا .

عاكفين : قائمين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن يشعر المؤمن بقبح الكفر وأهله .

٢ - أن يعرف المؤمن قصة إبراهيم وشجاعته مع قومه .

٣ - أن تكسو المسلم الشجاعة والقوة مع الحلم والأناة مع مرتكبي المنكرات .

المحتوى التربوي :

تصل المعركة بين موسى وفرعون لنهايتها بوصول الفئة المؤمنة إلى البحر وليس معهم سفن ، ومن خلفهم فرعون ، فالبحر أمامهم والعدو خلفهم ، وتظهر النفس الإنسانية جزعها بقولها : ﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ولكن ثقة الداعية بربه أكبر ، واليقين بربه آت ، والنجاة كائنة بمعجزة ربانية بانقلاب البحر إلى فرقين ، وعبر بنو إسرائيل بينهما ، فقد وقعت المعجزة ، وتحقق الذي يقول عنه الناس : مستحيل ؛ لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف المكرور ، والله الذي خلق السنن قادر أن يجريها وفق مشيئته عندما يريد .

لكن الظالمين لا يعلمون سنة الله في ﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (البقرة : ١١٧) وغرق الطغاة فكان الهلاك لهم والنجاة للمؤمنين الذين جاهدوا في سبيله ، واستقاموا على الطريقة ، ولاحظتهم عيون العناية

الإلهية ، كل ذلك ليستبشر المؤمنون المستضعفون وليثقوا بوعد الله ، فإن الله مع الصابرين ، وهو يدافع عن الذين آمنوا .

يقول صاحب الظلال : « ومضت آية في الزمان ، تحدث عنها القرون ، فهل آمن بها الكثيرون ؟ ... فالآيات الخارقة لا تستتبع الإيمان حتماً ، وإن خضع لها الناس قسراً ، إنما الإيمان هدى في القلوب » .

وتستمر قضية العقيدة في حلقة أخرى من القصة القرآنية لا تستلزم النهج التاريخي ، فالعبرة هي المقصودة من دعوة إبراهيم لقومه بأن يتركوا أصنامهم التي لا تضر ولا تنفع ، وهنا نلاحظ تصور الفطرة البشرية عبادة غير الله ، في مقابل الفطرة المرتكسة التي انحط أصحابها ، وهذا الواجب على الداعية أن يغضب إذا انتهكت حرمان الله ، وأن يبصر المجتمع من حوله بضلاله ، فأخذ إبراهيم يوقظ القلوب الغافية ، وينبه عقولهم المتبلدة إلى هذه السخف الذي يزاولونه ، بلا وعى وبلا تفكير .

وأقل ما يتوفر لإله يعبد أن يكون له سمع كعابده الذي يتوجه إليه بالعبادة والابتهاال ، وهذه الأصنام لا تسمع عبادها ، وهم يتوجهون إليها بالعبادة ، ويدعونها للنفع والضرر ، فإن كانت صماء لا تسمع ، فهل هي تملك النفع والضرر ؟ ولم يجب القوم بشيء ، إلا أنهم وجدوا آباءهم يعكفون عليها فمكفوا مثل ما عكفوا .

ثم يأتي جواب الظالمين ليتأكد أن حجة الكفار هينة ، وردهم مخجل ، ولكن المشركين لم ينججلوا أن يقولوه ، وقاله كفار مكة بأنهم يتبعون آباءهم في كفرهم ، وهنا يظهر التحجر العقل والانحراف عن الهدى في هؤلاء المشركين أو من المبتدعة الذين يصرون على بدعهم الفاسدة وقوانينهم الباطلة التي تطفح ضلالاً وزيفاً وعندما يرشدونه فلا يسترشدون بل يرمون غيرهم بالرجعية والجمود ثم التآمر ثم يهددونهم .

ولم يكن أمام داعي الحق إلى أن يجاهرهم العقيدة الصحيحة وبعدها آلهتهم ، وعادى آباءهم الأقدمين وهكذا يعلم القرآن المؤمنين كما يقول صاحب الظلال : « أن لا مجاملة في العقيدة لوالد ولا لقوم ، وأن الرابطة الأولى هي رابطة العقيدة ، وأن القيمة الأولى هي قيمة الإيمان ، وأن ما عداه تبع له يكون حيث يكون » .

ولبيان سبب العبودية لله أمام الصورة القبيحة للكفار ، وهم يعبدون الأصنام ، يأتي الخليل بصفات الله عز وجل يعلن نبيه كمال الإقرار بالفضل الإلهي ، فهو يطعم ويسقى ، فهي الكفالة المباشرة الحانية الراحمة ، ثم إذا مرض ، فهو يشفى ، وكمال الأدب النبوي يظهر في عدم نسبة المرض لله ، كما لم ينسب موسى ، النسيان لله بل نسبه للشيطان ، فالله ينفع أما الأصنام فلا تنفع

ولا تضر ، والله بيده الموت والحياة كل ذلك في استسلام ورضا عميق ، وليطمئن الدعاء السالكون في طريق الرسائل النبوية ، ولا يجزعوا من اتهامات التجويع والتنكيل والمصادرة والفصل والسجن والقتل ؛ لأن الأمور بقدر الله .

ويستمر الإقناع النبوي المستمد من الثقة من عون الله ، فالأصنام لا تسمع الكفار حين يدعون ، أما إبراهيم الأواه النبي يعرف ربه الذي يسمع الدعاء وهو يطلب غفران ذنوبه ، وكما يقول صاحب الظلال : « وهكذا يجمع إبراهيم في صفة ربه عناصر العقيدة الصحيحة : توحيد الله رب العالمين ، والإقرار بتصرفه للبشر في أدق شؤون حياتهم على الأرض ، والبعث والحساب بعد الموت ، وفضل الله وتقدير العباد » .

قال أبو السعود : « ذكره عليه الصلاة والسلام هضماً لنفسه ، وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب مغفرة لما يفرط منهم وتلافياً لما عسى يندر منه ^{الخطيئة} من الصغائر ، وتنبيهاً لأبيه وقومه على أن يتأملوا في أمرهم ، فيقفوا على أنهم من سوء الحال في درجة لا يقادر قدرها ، فإن حاله ^{الخطيئة} ، مع كونه في طاعة الله - تعالى - وعبادته في الغاية القاصية حيث كانت بتلك المثابة ، فما ظنك بحال أولئك المغمورين في الكفر ، وفنون المعاصي والخطايا ؟

وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين مع أنها إنما تغفر في الدنيا ؛ لأن أثرها يومئذ يتبين » .

وتظهر قيمة الحرص على الدعوة والتواضع ؛ الأولى في طلب الحكمة كي يستمر في الدعوة لله على بصيرة وهدى ، والثانية في أن يلحق خليل الرحمن أبو الأنبياء بالصالحين ! فشراف المؤمن وعزه وسؤدده في قربه من ربه ، وذله إليه هو فخره بين العباد .

ما ترشدنا إليه الآيات تريباً :

١ - ظهور فضل الله على من يتمسكون برسالته ، وينبغي التذكير دائماً في كل مجتمع للناس ندوة - محاضرة - خطبة .

٢ - الشجاعة أمام الظالمين والمبتدعين ومرتكبي المنكرات ، وتغيير المنكرات ، وتغيير المنكر كل حسب استطاعته .

٣ - دوام الدعاء والاستغفار لله عز وجل .

٤ - أن يسلك المؤمن سبيل الله والتواضع لله في كل أموره .

معانى الكلمات :

لسان صدق : ثناء حسناً .

أزلفت الجنة : قربت .

برزت : أظهرت .

الغاوين : الضالين .

كرة : رجعة .

الأردلون : السفلة المذنبون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر الداعية بقيمة دعوته وقيمة استمرارها .
- ٢ - أن يعرف الداعية بعض نماذج حرص الدعاة على استمرار دعوتهم .
- ٣ - أن يستمر الداعية في دعوة أولاده وعشيرته الأقربين .

المحتوى التربوي :

يستمر الخليل في دعائه وابتهاله الذى يبين ارتباط الدعاة بالعقيدة لا بالنسب بأن يكون له فى نسله ألسنة صادقة تدعو كما يدعو بالحق وبالحنيفية السمحة ، وبأن يسلكوا مسلك الصالحين بالعمل الصالح كى يصلوا لجنة النعيم ، لأنه لا واسطة ولا قربى إلى الله إلا بالقلب السليم فلا ينفع الأبناء الطالحين أبائهم الصالحون ، والعكس لا يصح ، فاستغفار إبراهيم وما فيه من دلالة البرِّ بَيِّن القرآن فيما بعد أنه لا تجوز ، لأن الرابطة هى رابطة العقيدة ، فإذا قطعت هذه الصلة انبتت سائر الوشائج ، وكانت البعدى التى لا تبقى معها صلة أو شيجة .

ثم يأتى المشهد الذى يبقى المؤمن دائماً على أهبة الاستعداد للعمل لله والإخلاص ، وهو تصور يوم القيامة وعدم الخزى فيه ، وأهل الجنة ينعمون ، والجنة تقترب منهم .

يقول صاحب الأساس : « وبهذا عرفنا المطالب العليا للمسلم الكريم : الحكم ، والصلاح ، وحسن الذكر في الله ، والجنة ، والمغفرة للأبءاء ، وعدم الذلة يوم القيامة » .

وأما الكفار الظالمون ، فالتار تظهر لهم ، ويحشر الكفار فيها ويتخاصمون ويتمنون أن يرجعوا فيؤمنوا ولات ساعة ندم ، وتلك نهاية في الآخرة كما أشارت القصة السابقة لنهاية في الدنيا ، وتلك نهاية الكفر ، وهى موضع العبرة تُعرض في القرآن كأنها واقعة تشهد بها الأبصار حين تتلى ، وتتملاها المشاعر .

قصة سيدنا إبراهيم هى التى أمر الرسول محمد ﷺ بأن يلقيها على قومه - لأن الدعوة أكثر تشابها والكفار في زمن الرسول عباد صنم ، والعقاب فيها في الآخرة ، وهذا يجب التفطن إليه في الدعوة بأن تستدعى الأسئلة في مواضعها للترغيب في الانضمام في الدعوة وركابها ، وللمتربيب من النكوص إلى الضالين المجرمين ، ومن توبة الأصنام برب العالمين ومن اتخاذ رؤوس الكفار أربابا من دون الله .

ثم يرجع السياق القرآنى تاريخيا لقصة لنوح عليه السلام وبدأنا نتيجة دعوة نوح مع قومه ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ وقوم نوح لم يكذبوا إلا نوحا ، ولكنه يذكر أنهم كذبوا المرسلين . فالرسالة في أصلها واحدة وهى الدعوة إلى توحيد الله ، وإخلاص العبودية له ، فمن كذب بها فقد كذب بالمرسلين أجمعين فهذه دعوتهم أجمعين .

يقول صاحب الظلال : « ينظر المسلم فإذا الأمة المؤمنة لكل دين وكل عقيدة من عند الله هى أمته ، منذ فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام دين التوحيد الأخير ، وإذا الصف الآخر هم الكفار في كل ملة وفي كل دين ، وإذا المؤمن يؤمن بالرسل جميعا ، ويحترم الرسل جميعا ؛ لأنهم جميعهم حملة رسالة واحدة هى رسالة التوحيد .

إن البشرية لا تنقسم في تقدير المسلم إلى أجناس وألوان وأوطان ، إنما تنقسم إلى أهل الحق وأهل الباطل ، وهو مع أهل الحق ضد أهل الباطل في كل زمان وفي كل مكان ، وهكذا يتوحد الميزان في يد المسلم على مدار التاريخ كله ، وترتفع القيم في شعوره عن عصبية الجنس واللون واللغة والوطن ، والقرباب الحاضرة أو الموعلة في بطن التاريخ ترتفع فتصبح قيمة واحدة ، هى قيمة الإيمان يحاسب بها الجميع ، ويقوم بها الجميع » .

وتأتى الآيات بالقصة من بدايتها بأمره لقومه بالتقوى والطاعة وهو ترتيب لازم فلا طاعة مقبولة بلا تقوى ، والتقوى تحرك صاحبها نحو العمل لا الخمود والركون والدعوة لله .

ثم يطمئن من يدعوهم لشفاافية الدعوة وأنه لا يطلب بها أجرا لأن العباد لا يقدررون الأجر ، ولا يستطيعون الوفاء به إن قدروا ، ولأن الله الذى كلفه بالدعوة ، ولتمييز دعوة الله عن دعاوى

الكهان ورجال الدين المنحرفين الذين استغلوا الدين لابتزاز الأموال ، لكن دعوة الله الحققة دعائها متجردون لله لا يطلبون مقابلاً في الدنيا ، بل يتوقعون الإيذاء والتعذيب فضلاً عن التكذيب ، أما أجرهم فعلى رب العالمين . في تكرار قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ .

قال النسفى « كرره ليقرره في نفوسهم ، مع تعليق كل واحد منها بعله ، فعلة الأول : كونه أميناً فيما بينهم ، وعلة الثانى : حسم طمعه منهم ، كأنه قال : إذا عرفتم رسالتى وأمانتى فاتقوا الله ، ثم إذا عرفتم احترازى من الأجر فاتقوا الله » .

قال صاحب الأساس : « وبشكل عام فإن كل رسول طالب قومه بالتقوى والطاعة ، وأعلن أنه لا يريد على دعوته أجراً دنيوياً ، مما يدل على أن الطاعة التى يريد بها الرسل هى من أجل كمال الإنسان ، وليست من أجل مقصد دنيوى ، كما يطلبها أهل الدنيا استزادة للجاه ، أو رغبة في تحقيق هدف دنيوى من ورائها ، وهذا أدب عظيم يجب أن يلاحظه وارث الأنبياء ، وطلاب الوصول إلى رضوان الله ... ، ثم إنه لا بد أن يلاحظ الدعاة ألا يطلبوا أجراً في مقابل الدعوة إلى الله ، وهذه قضية مهمة جداً ، قل من يلاحظ خفاياها في نفسه ، وندر من يعطيها تطبيقاتها العملية .. » .

ثم يبين السياق أن القوم يطلعون عليه باعتراض عجيب ، وهو اعتراض مكرور في البشرية مع كل رسول : ﴿ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ ، وهم يعنون بالأردلذين الفقراء ، وهم السابقون إلى الرسل والرسالات ، وإلى الإيثار والاستسلام ، لا يصدهم عن الهدى كبرياء فارغة ، ولا خوف على مصلحة أو وضع أو مكانة ، ومن ثم فهم الملبون السابقون .

فأما الملأ من الكبراء فتقعدهم كبرياؤهم ، وتقعدهم مصالحهم القائمة على الأوضاع المزيفة . المستمدة من الأوهام والأساطير التى تلبس ثوب الدين ، ثم هم في النهاية يأنفون أن يسويهم التوحيد الخالص بالجهاير من الناس ، حيث تسقط القيم الزائفة كلها ، وترتفع قيمة واحدة ، قيمة الإيثار والعمل الصالح ، قيمة واحدة ترفع قوماً وتخفض آخرين ، بميزان واحد هو ميزان العقيدة والسلوك القويم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الحرص على استمرار الدعوة ، وتوريثها للأبناء .

٢ - الاستغفار للآباء إن لم يموتوا مشركين .

٣ - تصور يوم القيامة والجنة والنار وما فيها .

٤ - أن يتعمد الداعية على البذل والعطاء في الدعوة ، ولا يتنظر أجراً أو مقابلاً في دعوته .

معاني الكلمات :

- المرجومين : المقتولين بالحجارة .
 الفلك المشحون : السفينة المملوءة .
 ريع : مكان مشهور .
 مصانع : قصورا أو حصونا .
 بطشتم : اعتديتم .
 أو عظت : أنصحت .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر الداعية بهوان الدنيا ، وقبح من يجعلها شغله .
- ٢ - أن يعرف الداعية عاقبة الانهماك في ملذات الدنيا .
- ٣ - أن يستخدم المؤمن نعم الله مع شكر المنعم .

المحتوى التربوي :

يأتى العون الإلهي لنوح عليه السلام في جداله مع قومه بأن عملهم موكول إلى الله لأنه نذير من الله ، لا يطلب من الناس سوى الإيمان ؛ ولأن الرسائل للناس جميعا غنيهم وفقيرهم ، قويمهم وضعيفهم .

قال صاحب الأساس : « وفي ذلك كله دروس بليغة للدعاة إلى الله ، فإن كثيرين يحرصون أن ينفذ الناس عن الدعاة من خلال إيجاد هوة بين الداعية والمستجيبين له ، وإن كثيرين يطالبون أن يعرض الدعاة عن الأتباع الفقراء ، أو الضعفاء جسما أو عقلا أو سلوكا ، وواجب الأتباع ألا يخذعوا ، وواجب الدعاة ألا يفعلوا ، فمهما كانت ظواهر الخلق إليهم منقادة فعليهم قبولها ، ومحاولة تركيبتهم ، وهذا شيء وأن يخذع الداعية شيء آخر » .

ولأن الباطل حجته واهية، فلجأ قومه إلى مسلك الطغاة وهو التهديد عندما أعوزتهم الحجة، وأعجزهم البرهان وتلك عادة أعداء الله : أنهم يلجؤون إلى التهديد في النهاية لنفى الدعاة إلى الله عن دعوتهم .

ثم يأتي اللجوء إلى الله عندما يبذل الدعاة كل جهدهم ، ولا يلاقون من المدعويين إلا الصدد والإعراض والتكذيب ، ويطلبون النجاة لهم ولمن يدعونهم فتُجىّ المؤمنون بالدعاة ، فلولاً الدعاة لهلكوا ، ثم كان العقاب الشديد للظالمين بالإغراق للذين كذبوا الداعى إليهم - وأعرضوا عنه فترة طويلة من الزمان ، وفي هذا ليتعظ السالكون في الدعوة بأن يؤوبوا إلى ربهم في كل أمر؛ حتى يكونوا أهلين للمعية الإلهية .

ثم حلقة أخرى من حلقات الدعوة إلى الله والانتصار لقضية العقيدة ، وهى دعوة نبي الله هود عليه السلام - لقوم عاد الذين كانوا يسكنون الأحقاف ، جاء إليهم أخوهم هود يدعوهم لما فيه رشادهم وصلاتهم ونجاتهم بأن يتقوا الله ويلتزموا أوامره ، وشأنه كشأن الدعاة لا يطلب أجراً من الناس ، لأن الله هو الذى كفهم ، وهو الذى يأجرهم .

يقول الإمام محمد أبو زهرة في زهرة التفاسير عن آيات قصة عاد : « وهى تدل أولاً : على أن الكافرين بالرسول لا يعارضون الآيات وينكرونها ، إنما هم لجحودهم ينكرون أصل الرسالة الإلهية إلى البشر ، فهم لا يؤمنون بالله تعالى ؛ إذ لا يؤمنون بالغيب ، وإنما يؤمنون بالأشياء المحسوسة فقط ، والإيمان بالغيب هو التدين .

وتدل ثانياً : على أن الرسل أمناء الله تعالى على خلقه وإرشادهم وتقويمهم .. وتدل ثالثاً : على أن رسل الله لا مطمع لهم في أمر دنيوى ، وإنما يريدون الهداية والتقوى والإيمان .. وتدل رابعاً : على أن التقوى مطلب النبيين أجمعين .. وتدل خامساً : على أن طاعة الرسول واجبة لأنها طاعة لله تعالى .. » .

وقوله تعالى : ﴿ أَخُوهُمْ هُودٌ ﴾ فيها ملمح أن الداعية يجب أن يكون من جنس قومه ، يعرفون نسبه وسيره وسيرته ، وعندما كذبوا كان تكذيبهم لأسباب واهية ، وقال بعدها : « أنا رسول الله ، فلا يدعوهم لنفسه بل لله ، و ﴿ آمين ﴾ فيهم » لا يريد لهم إلا الخير .

ولابد من مجاهرة الظالم بظلمه وكشفه ، وينكر نبي الله عليهم الترف في البنين لمجرد التباهى بالقدرة ، وينكر عليهم الرئاء والاستزادة منه والاستطالة في البناء ، لأن هذا يجعلهم في غفلة عن تقوى الله ووقايته ، ولأن الركود إلى الدنيا ، والغرق في ملذاتها يعمى البصائر عن رؤية الحق واستجلاته .

وهنا يلمح تقدير قيمة المال ودوره فإنهم كانوا يبنون فوق المرتفعات بنيانا يبدو للناظرين من بعد كأنه علامة . وأن القصد من ذلك كان هو التفاخر والتطاول ، ومن ثم سباه عبثا ، ولو كان هداية المارة ومعرفة الاتجاه ما قال لهم : ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ فهو توجيه إلى أن ينفق الجهد ، وتنفق البراعة ، وينفق المال فيما هو ضرورى ونافع لا فى الترف والزينة ، ومجرد إظهار البراعة والمهارة .

وتسوق لنا الآيات نتيجة الركون للثراء والترف فى أن يغشى القلب الضلالات حتى يظن المترف أنه سيخلد ، ومظنة الخلود البخل والكفر والعناد ، بل ينتقل ذلك إلى البطش بالآخرين وعدم التحرز من القسوة ظنا منه أن الدنيا باقية، لذا كان التحذير من الدنيا وصية الرسول ﷺ ، وأن أشد ما يخاف على الدعاة هو أن أن تفتنهم الدنيا بزخرفها ، فيستخفهم أعداؤهم .

ثم تواصل ملحمة الدفاع عن العقيدة وإثبات نعم الله بأنه كان الواجب عليهم تقوى الله وطاعته؛ لأن ما يتمتعون به هو من فيض النعم الإلهى، وكان الأجدر بهم أن يتذكروا فيشكروا، إن من أعطى هذه النعم وسرها قادر على أن يذهبها .

نرى هنا أن شكر النعم هو أداء حقوقها ، وأولها إخلاص العبادة للمنعم ، أما جحود النعمة والاستكبار ، وجحود فضل النعم هو المستلزم للعذاب العظيم وهو تحذير لعاد من أخيهم ، وهو واحد منهم أمين فى إخلاصه ونصحه ، داعية يؤله أن يرزقهم الله ، ولا يشكر بل يحدد وينكر ، ويعبد سواه ، يتبعهم بكل سبيل بأن يهديهم الله سبيل الرشاد ، ويخوفهم من عذاب عظيم فى الآخرة .

لكن هذه التذكرة وهذا التخويف لا يصلان إلى تلك القلوب الجاسية الفظة الغليظة ، فاستوى الأمران الوعظ أو عدمه ، فالقلوب أصابها الجمود والتحجر بسبب الركون للدنيا والاغترار بها .

وهذا يطمئن الدعاة فى كل وقت ، لا يصيبهم القنوط عندما يرون إعراض من يدعونهم بأن ذلك ديدنهم إلا من هداه الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - قيمة الإنسان بعمله لا بنسبه وماله وسلطانه .
- ٢ - وجوب استثمار المال فيما يفيد المؤمن فى دنياه وآخره .
- ٣ - ذم المغالة فى الاستكثار من المال والأبنية ، وإن التواضع يزين صاحبه .
- ٤ - وجوب التفكير فى نعم الله التى تكتنفنا وتلفنا .
- ٥ - اتباع كل سبيل يرفق القلوب بالذكر والدعاء ، والحذر من غلظة القلب وقساوته .

معاني الكلمات :

آمنين : مخلدين .

هضيم : رطب نضج .

فارهيـن : مستعـلين .

فـعـقروها : فـقـتلوها .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر الداعية بقيمة الطاعة الحقيقية .
- ٢ - أن يعرف الداعية جزاء العصاةين لأمر الله ورسوله .
- ٣ - أن يلتزم الداعية في دعوته بالطاعة الكاملة لله وللرسول ، ولأمراء المسلمين بالضوابط الشرعية .

المحتوى التربوي :

تستمر الآيات تعرض ما ترتب على ظنهم أنهم مخلدون فبعد البطش والجمود ظنوا أنهم لن يعذبوا .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « وإن ذلك النفي يتضمن ثلاثة أمور :

أولها : إنهم لغرورهم يقررون أنهم لا يعذبون ، وليس من شأنهم أن يعذبوا ، ويتضمن ثانيا : إنكار البعث وتلك خلة الكافرين ، ويتضمن ثالثا : أنه إن كان بعث فلن يكون العذاب نصيبهم ، بل تكون حالهم في الآخرة هي حالهم في الدنيا ، ذلك ما يأفكون به ، وهم الضالون » .

ولم يكن عجباً أن يهلكوا التطوى صفحة من صفحات المكذبين تكررت وتكرر ، ويقول في ذلك صاحب الظلال : « وكم من أمة بعد عاد ظلت تفكر على هذا النحو ، وتغتفر هذا الغرور ، وتبعد عن الله كلما تقدمت في الحضارة ، وتحسب أن الإنسان قد أصبح في غنية عن الله ! وهي تنتج من أسباب الدمار لغيرها ، والوقاية لنفسها ، ما تحبه وإقبالها من أعدائها ، ثم تصبح وتغنى ، فإذا العذاب يصب من فوقها ، ومن تحتها عن أى طريق » .

ثم تتواصل ملحمة إثبات التوحيد بحلقة أخرى من حلقات الدفاع عن العقيدة مع قوم ثمود وأخيههم صالح ، وهؤلاء كانوا يسكنون بالحجر بين الشام والحجاز ، ومر النبي ﷺ بدورهم المدمرة في غزوة تبوك فأروا آثارهم للاعتبار لا للانبهار - فأتاهم رسول من رب العالمين أمين في نصحه لهم لا يطلبون مغنا إلا من عند الله ، وهو من جنسهم رفيق بهم ، أتاهم صالح ليحذرهم سلب النعمة التي أقحمتهم ، فأصمت آذانهم عن سماع الهدى وأعمت عيونهم عن رؤية الردى الذى ينتظر المستكبرين كل هذا ؛ لأن الدنيا قد سكنت قلوبهم ، فظنوا أنهم خالدون فيها ، فعمروها وخربوا آخرتهم .

ويذكرهم صالح ﷺ بنعم الله التي أتوا إلى الدنيا وهي باقية ، وما فئيت وفنوا من سكنوها ، وأن هذه الجنات والزروع وثمارها تجدد كل يوم ، وتأتى إليهم طيبة ، وما غير ذلك من الجبال من الرواسى الشاغحات التي سخرها الله لهم فظنوا بيوتاً تحلدهم ، وهنا يظهر الفارق بين المؤمنين الذين يستقبلون نعم الله فيؤدون شكرها قولاً وعملاً ، أما ديدين الظالمين ، فالبطر والاستكبار والتعالى بها لا يملكون .

ويتحدد سلوك الظالمين عندما يدعون إلى التقوى والطاعة فلا يلبون ، وألا يتبعوا سبل المفسدين الذين أسرفوا وغرّوا ، لكنهم يستكبرون عندما تموت القلوب التي في الصدور ، فيرون من يرمونهم بالسحر ، وهم يعلمون السحرة وتعاويذهم ، ويرمونهم بالقدح - في ظنهم - لأنه بشر ، وما علموا أن البشرية مع الرسالة هي عين التشريف والتعظيم ، فإنه مثلهم ينام ، ويقوم ، ويأكل ، ويشرب ، ويتزوج ، ولكن الله وهبه الرسالة وما يتبع ذلك من الاتصال بالملأ الأعلى ، وعلى الدعاة أن يتوقعوا من الطغاة كل جريمة ، وكل تهمة تلتصق به ؛ لأن في بقاء فساد المجتمعات إبقاء لأنفسهم ومطالبهم ، وفي صلاح المجتمعات هدمٌ لهم وإزالة لسلطانهم .

يقول صاحب الأساس : « إن قول الله تعالى على لسان صالح ﷺ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ » يفيد أن الطاعة ينبغى أن تكون للرسول ﷺ كاملة وألا تعطى لكل مسرف مفسد غير مصلح ، وموضوع الطاعة من أخطر مواضع العصر ، فتادراً ما تجد مسلماً يضع الطاعة في محلها ، فهو إما متمرد على كل شئ ،

أو مطيع لمسرف ، أو يرفض الطاعة لأى أحد ، أو لا يعرف لمن يعطى الطاعة ... ولا يجوز لمسلم أن يعطى طاعته لكل صادم عن سبيل الله غير ملتزم بالإسلام .

يقول الإمام محمد أبو زهرة « المسرفون هم الذين يخرجون بطبيعتهم البشرية عن حد الاعتدال إلى حد الإسراف فيسرفون في شهواتهم حتى يصيروا عبيداً للشهوات ، ويسرفون في أوهامهم فيحسبون ما تدفع إليه الأوهام حقيقة ، وليست إلا وهماً باطلاً ، ويسرفون في طلب السلطان فلا يحسبون أنه لإقامة العدل والقسطاس المستقيم ، ويسرفون في القوة فلا يحسبون أنها لحماية الضعفاء ، بل يظنونها للاستعلاء والاستكبار عليهم ، وليجعلوهم عبيداً أذلاء ، وهكذا كان المسرفون مفسدين لنفوسهم ولمجتمعاتهم » .

وتتابع المعية الربانية بإمداد رسوله بمعجزة حتى يقيم الحجة عليهم ولكن أنى لمن سكنت الدنيا قلبه أن يهتدى ؟ ! وكيف لمن عمى عن رؤية نعم الله الذى يعيش فى ظلالها أن يؤمن بمعجزة من خالق الجنات والزروع الهضيم والعيون والجبال ، ثم كيف أن يطيعوا أمر الرسول فى شأن الناقة وقد كفروا بالتوحيد الخالص ، فلم ينسكب الإيمان فى القلوب الجاسية ، ولم يحفظوا العهد ، ولم يفوا بالشرط .

ويأتى تحذير نبي الله لهم لما رأى من خبث نيتهم وسوء طويتهم ، وتحقق ما توقعه فعقروها وعذبوا ، ورغم أن العاقر واحد والمؤتمرين تسعة إلا أن الجميع كانوا راضين فنسب العقرب لهم جميعاً ، فليحذر الدعاة الناس من الركود إلى الذين ظلموا حتى لا يمسهم العذاب ، وإن الكفر يستشرى ، والبدع تشيع لسكوت الناس عنها ؛ ولأنهم لا تتمعر وجوههم من رؤية المنكر ، فأخذوا بالعذاب مع الظالمين وهم كثرة ، والمؤمنون العالمون قلة ، وتلك سنة الله التى لا تبدل ولا تتغير .

ويأتى التعقيب المتكرر بأن الله سبحانه هو العزيز القوى القادر على إبداع الآيات ، وأخذ المكذبين بالعذاب ، الرحيم الذى يكشف عن آياته ، فيؤمن بها من يهتدى قلبه ، ويمهل المكذبين فلا يعذبهم حتى يأتيتهم نذير .

ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - ذم التقليد وعرض كل الأمور على كتاب الله وسنة الرسول وتحكيمهما .

٢ - أن يكون الداعية بكل الصفات الطيبة التى تجعل كلامه مقبولا لمن يدعوه .

٣ - الحذر من الذنوب وعواقبها .

معانى الكلمات :

تذرون : تتركون .

المخرجين : المطرودين .

القالين : الكارهين .

الغابرين : المعذبين .

الأيكه : الشجر الكثيف .

القطاس المستقيم : العدل .

نبحسوا : تنقصوا .

لا نعشوا : لا تفسدوا .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة السلوك الاجتماعي للداعية .
- ٢ - أن يتعرف الداعية على بعض جوانب السلوك اللأم في قصص الأمم الظالمة .
- ٣ - أن يكون الداعية إيجابيا مع من حوله .

المحتوى التربوي :

يستمر النسق القرآني في عرض حلقة أخرى وهي قصة لوط وهي مع قصة إبراهيم تاريخيا ، ولكن الترتيب التاريخي ليس مقصودا ، بل العظة والعبرة من عاقبة وهلاك المكذبين ونجاة المؤمنين الأطهار الذين طهرت قلوب وأجسامهم ولم ترتكس فطرتهم .

هنا كان التكذيب من قوم لوط من نوع آخر ، فقد استنكر لوط عليه السلام عليهم قلب الناموس الرباني ، واعوجاج الفطرة السليمة بأن يأتي الذكور الذكور وهي فعلة تشتمز منها الفطر السليمة ، وتفر منها النفوس المطمئنة ، فأنكر عليهم الداعية بأن يعتدوا على سنة الله في خلقه

وقد منحهم الفطرة السليمة باجتماع الذكر والأنثى ، وكان شديداً في نبيه لهم ، فالجرم شنيع ، والذنب فادح .

قال صاحب الظلال : « والخطيئة المنكرة التى عرف بها قوم لوط (وقد كانوا يسكنون عدة قرى في وادى الأردن) هى الشذوذ الجنسى بإتيان الذكور وترك النساء ، وهو انحراف في الفطرة شنيع ، فقد برأ الله الذكر والأنثى ، وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيتته في امتداد الحياة عن طريق النسل ، الذى يتم باجتماع الذكر والأنثى فكان هذا الميل طرفاً عن الناموس الكونى العام ، الذى يجعل كل من في الكون ، وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود ، فأما إتيان الذكور الذكور فلا يرمى إلى هدف ، ولا يحقق غاية ، ولا يتمشى مع فطرة هذا الكون وقانونه .

وعجيب أن يجد فيه أحد لذة ، واللذة التى يجدها الذكر والأنثى في التقائهما إن هى إلا وسيلة الفطرة لتحقيق المشيئة ، فالانحراف عن ناموس الكون واضح في فعل قوم لوط ، ومن ثم لم يكن بد أن يرجعوا عن هذا الانحراف أو أن يهلكوا ... » .

ولم يفت في عضده تهديدهم له بإخراجه من بينهم ، وما نقموا منه إلا طهارته ، فأعلن الولاء لله والبراء من عملهم الفاسد وبعض ضلالهم ، وطلب الهجرة من دار الإثم والفجور والنجاة إلى أرض صالح أهلها ، فتنزل العناية الربانية على لوط وأهله بالنجاة ، ولأنه لا نسب موصول إلا بالإيمان ، ولا رابطة إلا العقيدة ، فقد هلكت زوجة لوط دون أهله جميعاً ؛ لأنها كانت ترضى بما يفعل قومه ، وتتصر رابطة الإيمان على عاطفة المصاهرة ، كما انتصرت على عاطفة الأبوة مع نوح عليه السلام ، والبنوة مع إبراهيم عليه السلام .

وكان عقاب الله واقع بقرية سدوم فدمر الظالمون ، ونزل المطر الذى كان هلاكاً لهم ولغسل الأرض من أفعالهم المرذولة المشينة ، ولتظل قراهم أمام الرسول والمؤمنين شاهداً على هوان الظالمين ، ونصر الله للمؤمنين مهما بدا الكفر عزيزاً كبيراً فإن الإيمان أعز ، وصلتهم بالله ، أكبر وبالعبادة أكثر ناصراً وعدداً .

يقول صاحب الأساس : « نلاحظ في قصة موسى أن الخطيئة البارزة التى جاء موسى عليه السلام لعلاجها هى الظلم المتمثل بادعاء فرعون الربوبية ، وظلمه لبنى إسرائيل ، وأن الخطيئة البارزة التى جاء إبراهيم لعلاجها هى شرك قومه وعبادتهم للأصنام ، وأن الخطيئة البارزة التى جاء نوح عليه السلام لعلاجها هى الشرك ، وأن الخطيئة البارزة التى جاء لوط عليه السلام يعالجها هى إتيان الذكور مع الشرك ، فالشرك مع البطر ، وأن الخطيئة البارزة التى جاء لوط عليه السلام يعالجها هى إتيان الذكور مع الشرك ، فالشرك

هو العلة التى تنبع عنها كل الخطايا ، وكما أن مهمة الرسل هى هداية الناس إلى الله رب العالمين ، فإن مهمتهم أن يبعثوا الناس عن الخطايا كلها .

وحلقة أخرى من ملحمة الدفاع عن العقيدة ومعالجة الخلل الأخلاقى فى قصة شعيب عليه السلام مع أهل مدين يدعوهم ، وهو رسول من رب العالمين أمين فى خوفه عليهم ودعوته لهم بأمرهم بقاعدة الرسالة ، وهى إخلاص العبادة لله بتقواه ، والتقوى تتبعها الطاعة ، ولأن الرسائل منهج حياة للإصلاح فى الأرض ، ولتقرير قواعد التعامل بين الناس ، ولإيصال مفهوم العبادة بمعناها الشامل .

يقول صاحب الظلال : « إن المعاملات لا بد أن تستند إلى أصل ثابت لا يتعلق بموامل متقلبة ، هذه هى نظرة الإسلام ، وهى تختلف من الجذور مع سائر النظريات الاجتماعية والأخلاقية التى ترتكن إلى تفكيرات البشر وتصوراتهم وأوصافهم ومصالحهم الظاهرة لهم » .

إن فساد العقيدة يتبعه فساد السلوك وسيطرة الهوى ، وكان للداعية - شعيب - دور بأن دعاهم لإيفاء الكيل ، وألا يأخذوا حقاً زائداً عن حقهم ، وألا يأخذوا حقوق الناس بشرائها بضمن بخس ويبيعها بضمن مرتفع ؛ لأن العقيدة الصحيحة يتبعها حسن المعاملة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ تفصيل فسادهم ظهر فى سياق القصة فى سورة الأعراف بأنهم كانوا يقطعون الطريق على من سواهم ، ويفتنون الذين يؤمنون ، ويصدونهم عن سبيل الله .

يقول الإمام محمد أبو زهرة فى زهرة التفاسير : « والعنى أو العثو ، الفساد النفسى أو المادى ، ونميل إلى العنى النفسى ، والمعنى القصد إلى العثو مفسدين حال مؤكدة لمعنى العثو ؛ لأن العثو يؤدى إلى الفساد فى الجماعة ، فيتقاطعون ، ويتدابرون » .

تظهر هنا العاقبة الوخيمة لغياب التربية والعقيدة ، وما يتبع ذلك من حب الدنيا ، وسيطرة سلطان المال وما يتبعه من سلك كل طريقة مردولة لجمعه من بخس الناس أشياءهم ، فيعذب أبدانهم الحرام فلا يتورعون عن ارتكاب الحرمات ، وقطع الطرق .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - أن يكون للمؤمن دور فى علاج الخلل الاجتماعى ، والانحرافات السلوكية .

٢ - هجر أماكن السوء ، ومواضع المنكر وتحذير الآخرين منها .

٣ - إدراك قيمة المال فى الحياة ، ونزع كل حب للدنيا من القلب .

معانى الكلمات :

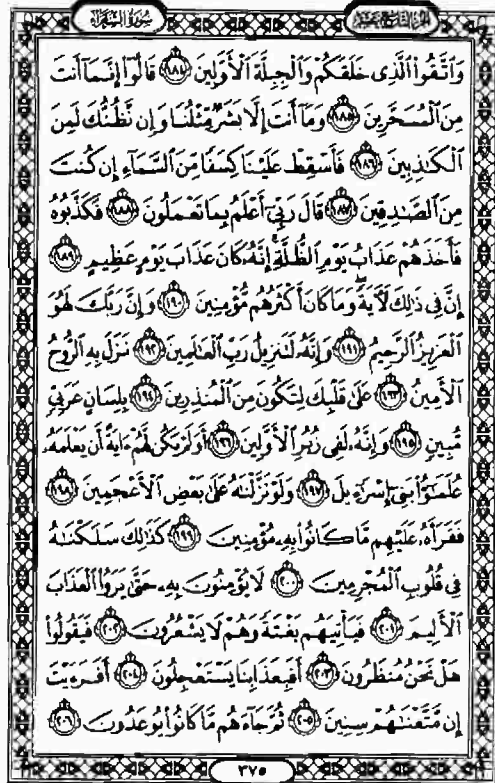
الجبلة الأولين : الخلائق السابقة .

كسفا : قطع عذاب .

زبر الأولين : كتب الرسل السابقين .

بغتة : فجأة .

منظرون : مهملون .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يدرك المؤمن عظمة معجزة القرآن .
- ٢ - أن يعلم المؤمن موقف المشركين واليهود من دعوة الرسول والقرآن .
- ٣ - أن يداوم الداعية مذاكرة القرآن وسيرة الرسول ﷺ .

المحتوى التربوي :

تواصل الدعوة (للمُدين) حين يدعوهم أخوهم شعيب بأن يتقوا الله قولاً وعملاً ، فانه هو خالقنا فيجب إقرار العبودية له عز شأنه ، وخلق من قبلنا الذين فنوا وما أغنى عنهم ما لهم وما جمعوا وحشدوا ، وهو تنوع في الدعوة من داعى القوم ؛ ليفكروا في خلقهم والأمم السابقة قبلهم .

هزت الدعوة قوم شعيب ، وخاف الظالمون على أوضاعهم الباطلة فاتهموه بأنه مسحور يخلط ويهذى ، ولم يكتفوا بتلك التهمة ، بل استنكروا استكباراً أن يكون الرسول بشراً ، واستمروا في طغيانهم وضلالهم حتى عموا عن رؤية الحق الجلى فاتهموه بالكذب ، وكيف يكون

مسحورًا قد عراه السحر ، والكذب وهم مقصود ، وهذه هي الأباطيل التي قالها الضالون مع كل نبي ورسول ؛ ليتأكد للرسول ﷺ والدعاة من بعده أن سنة الدعاة أن يواجهوا بالكذب والإعراض .

وتواصل الإحاطة الربانية بأهل مدين حين طلبوا آية من شعيب ، واستفتحوا العذاب على أنفسهم بضلالة الشيطان هم ، فأظلمت سحابة كان فيها هلاكهم ، أما المؤمنون فكان توكلهم على ربهم كما جاء في سياق القصة في سورة الأعراف : ﴿ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (الأعراف : ٨٩) ، ويقول صاحب الظلال في ذلك : « إنه - أى شعيب - يعرف مصدر القوة وملجأ الأمان ، ويعلم أن ربه هو الذى يفصل بالحق والطفانيان ، ويتوكل على ربه وحده في خوض المعركة المفروضة عليه وعلى المؤمنين معه ، فانه مولى المؤمنين والظالمون لا مولى لهم » .

يقول الإمام محمد أبو زهرة : « إن السحابة إذا كانت حارة فيها نار يكون العذاب شديدًا ، والألم مريعًا ؛ لأنه تكون النار حيث يرجى الظل لا الحرور ، وقالوا : إنه في يوم الظلة أحسوا بالحر ، فلجؤوا إلى ظل سحابة ، فكانت الظلة القاتلة وراءها الدمار ، فأصبحوا في عذاب ، وبذلك كان العذاب الساحق الماحق من جنس ما طلبوا وهو كسفا من السماء .

وكانت هذه آية من الله مرشدة هادية لمن يعيشون مثل عيشهم ظلما وعدوانا ، وأكلا لئال الناس بالباطل والعدوان ، والعتو في الأرض فسادًا ، وهي دالة على أن شعيبا كان يدعوهم بالحق ، وهم المبطلون » .

ويعود السياق القرآني في الخطاب للرسول محمد ﷺ بعد قصة الرسالة الإلهية وقواعدها ، والتكذيب من الأقوام وإنجاء الله للمؤمنين وعقاب الله للظالمين ، وكان لكل نبي آية مع قومه انتهت معه ، لكن آية هذه الأمة هي القرآن هي آية باقية فالمعجزة باقية ، والانتفاع بها مستمر والتكذيب لها مستمر ، وعقاب المنكرين بها مطرد ، نزل بلسان عربى بلغتهم ، لكنه بنظمه ومعانيه وبمنهجه ، وبتناسقه يشي بأنه من مصدر غير بشرى .

يقول الإمام أبو زهرة : « وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بثلاث صفات معلية له ، مشرفة بنسبته فوق شرفه الذاتى من بلاغة وشمول الشرع :

الأولى : أنه تنزيل من رب العالمين ، والتنزيل النزول جزءًا بعد جزء منجما مقطعا ، ليسهل حفظه ، وليرتل ترتيلا ، وليعلم النبي قراءته وتلاوته ، ويتعلمها منه أصحابه ...

الثانية : أنه نزل بالوحى نزل به الروح الأمين على قلبك الروح الأمين هو جبريل ... لتكون من المنذرين أهل الضلالة عن غوايتهم ، ودعوتهم إلى التوحيد ...

الثالثة : أنه باللغة العربية .. فترجمة القرآن إن كانت ممكنة (وهى ليست ممكنة) ليست قرآنا .

الرابعة : أن أكثر ما فيه من معان وقصص ، وشرائع فى زبر الأولين ، أى إن القرآن الكريم بعضه فى كتب الأولين ... » .

ويستمر تكابر المشركين والظالمين من أهل الكتاب الذين يعرفون الرسول وصدق رسالته ، وتستمر المعية الربانية فى تسرية قلب الرسول بأن العناد يلازمهم ، أنه لو نزل هذا القرآن على أعجمى ما آمنوا ؛ لأن العناد هو الذى يقعد بهم عن الإيذان لا ضعف الدليل .

ويقول صاحب الظلال فى قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿١٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ : « والتعبير يرسم صورة حسية لملازمة التكذيب ، فيقول : إنه على هذه الهيئة ، هيئة عدم الإيذان والتكذيب بالقرآن ، على هذه الهيئة نظمناه فى قلوبهم وأجربناه ، فهو لا يجرى فيها إلا مكذبا به ، ويظل على هيئته هذه فى قلوبهم ، حتى يعاينوا الوعيد ، وذلك عند الموت ، وفى هذه الحالة يكون الإيذان إيذان يأس فلا ينفعهم ، أو المراد به العذاب الربانى فى الدنيا فيأتيهم فجأة ، وهم لا يشعرون بإتيانه ، ووقتها يسألون النظرة ، والإمهال طرفه عين ، فلا يجابوا إليها » .

وكان دأب قریش دأب الأمم هو استعجال العذاب ، وكان التعليل القرآنى بصورة الخطاب أنهم قد يتمتعون سنين ، ثم يأتيهم هذا العذاب كأن النفس الضعيفة تظن أن النفوس الضعيفة والفطر الفاسدة عندما تترك لشاع الدنيا تجحد النعمة وهى ترتع فى النعمة تستعجل بالعذاب استهزاء واستهتارا ؛ ويستبعدون الانتقال من النعيم للعذاب ، شأنهم شأن ذوى النعمة قلما يخطر ببالهم أن تزول ، ثم يأتيهم العذاب ، وتكرر الحادثة فى كل زمان ومكان بأن الدعاة إلى الله هم الغالبون ، وإن المجرمين فى ضلال وسعر ، لأن الله ينصر رسله ، والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوينا :

١ - وجوب التفكير فى خلق الإنسان .

٢ - وجوب مدارس القرآن وتدبره .

٣ - مدرسة سيرة الرسول ﷺ ومعرفة جهاده وتتناول مواقف المشركين معه .

معاني الكلمات :

ذكرى : تذكرة وعبرة .

اخفض جناحك : تواضع .

أفأك أثيم : كثير الذنب .

الغاوون : الضالون .

منقلب : مرجع ومصير .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن يشعر المؤمن بقيمة الشعر الإسلامى .
- ٢ - أن يتعرف المؤمن على فضل الرفق في الدعوة .
- ٣ - أن يسلك المؤمن مسلك الرحمة واللين في دعوته .

المحتوى التربوي :

وتواصل الآيات عرض مصير المكذبين للداعى إلى الله ، وما متعوا به لم يغنهم شيئاً ، ولم يخفف عنهم عذابهم ، والعذاب لم يقع بهؤلاء القوم ولا وقع بكل القرى إلا بعد أن أقيمت عليهم الحجج ، وأرسل إليهم الرسل ليذكروا الناسين ، ويوقظوا الغافلين ؛ لأن فطرة الله بالإيمان في كل نفس ، وعلى الدعاة أن يبلغوا رسالات ربهم ، وهذه صفة الله العادل بين العباد؛ لأن الله لا يظلم الناس شيئاً .

والملاحظ أنه يأتى هذا الموضوع في الخاتمة ، بعد أن عرض الله علينا في السور ستة نماذج على إهلاكه قرى فكذبت ... وبعد أن أثبت الله أنه هو الذى أنزل هذا القرآن ، وأقام الحجة

على ذلك ، وعرض لموقف المجرمين ، وسبب هذا الموقف ، وردّ على استعجالهم العذاب ، يأتي الآن نفيه القاطع أن يكون للشياطين صلة بموضوع إنزال هذا القرآن ، ومجيء هذا النفي يشير إلى الشبهة الكافرة الجاحدة التي لا زال الكافرون يثيرونها ، وهي أن عمداً ﷺ - وحاشاه بأبى هو وأمى - كانت له حالات غير صحيحة تحدث له تخيلات وأوهام ، هي أثر عن وموسسات وصراعات ، فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وتأتى الآيات لتدمغ تهمة أخرى للكفار فتجعلها زاهقة وهي أن هذا القرآن من وحى الشيطان ، وكبرت كلمة من أفواههم إن يقولون إلا إفكاً وزوراً فالقرآن للهدى والصلاح ، والشياطين تدعو للضلال والفساد والكفر ، وما هم بمستطيعين أن يأتوا به ، فهم معزولون عن سماع الوحي به من الله ، إنها يتنزل به الروح الأمين ، بإذن من رب العالمين ، وليس هذا بميسور للشياطين ، وهل تستوى مناهج الأمم التي ضلت وأضلت مع مناهج الإسلام الناهلة من معين القرآن ، وكيف يبتدى الظالمون وهم بعيدون عن الوحي الإلهي ، فكان التحذير للمؤمنين بعد ذلك ممن سلوكوا مسلك الكافرين من اتخاذ مناهج الكافرين فيكون مصيرنا كمصيرهم .

قال ابن كثير : « ذكر سبحانه أنه يمتنع عنهم ذلك من ثلاثة أوجه: أحدها : أنه ما ينبغي لهم ، أى ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم ؛ لأن من سجاياهم الفساد ، وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم ، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ... ولو انبغى لهم ما استطاعوا ذلك ... ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته ما وصلوا إلى ذلك ؛ لأنهم بمعزل حين استماع القرآن حال نزوله ؛ لأن السماء ملكت حرساً شديداً وشبها في مدة نزول القرآن على رسول الله ﷺ .. » .

يقول صاحب الظلال : « الخطاب لرسول الله ﷺ يحذره من الشرك - وهو أبعد من يكون عنه - ليكون غيره أولى بالخطر .

وتحدد الآيات بعد ذلك منهج الدعوة لله كى تصل للغاية المأمولة ، وهي دعوة العشيرة والأقربين لتقوية الدعوة ؛ ولأن قرابتهم من صاحب الرسالة لا تنفعهم فهي دعوة الله الخالصة ؛ ولأنه إن آمنت عشيرة الداعي كان تأثيره فيمن يدعوه من غير عشيرته أكثر ، وأسلوب الدعوة بخفض الجناح للمؤمنين ؛ لأنه لو كان فظاً غليظ القلب لانفضوا من حوله ، أما الكفار فيجب إظهار العزة أمامهم ، والعصاة يجب التبرء من أعمالهم بعد نصيحهم .

ثم توضح الآيات من الذى يستحق نزول رحمة الله من الدعاة ، ومن الذى تحيط العناية الربانية هو من أخلص العبادة لله ، ودوامه على السجود ، وهو قمة الخضوع والقرب من الله ،

ويقول صاحب الظلال في هذا : « يشعر الرسول ﷺ أنه في كنف ربه وفي جواره وقربه ، وفي جو هذا الأنس العلوى كان يعيش » .

ويأتى الدفاع القرآنى عن الرسل ومناهجهم بأن مناهج الشيطان تنزل على الضالين الذى يسعون وراء الأوهام والخيالات ، أما القرآن فهو منهج قويم نزل على النبى الكريم ليهديها لأقوم طريق ، والرسل ما ينبغى لهم أن يكونوا شعراء ، فللشعراء أوهام وأهواء وانفعالات متقلبة ، ويخلقون فى عوالمهم ، أما صاحب الدعوة المحددة له هدف ومنهج وطريق .

يقول صاحب الظلال : « إن طبيعة الإسلام - وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ فى واقع الحياة ، وهو حركة ضخمة فى الضمائر المكنونة ، وهذه طبيعة لا تلائم طبيعة الشاعر الذى يخلق حلمًا ثم يقع به ، أما الإسلام فيريد تحقيق الحلم » .

وفى نهاية السورة كان استثناء لبعض الشعراء من الغواية ، وهم الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات قولاً وعملاً ونصروا عقيدتهم ، وسخروا بياهم لدعوة الله كحسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

ويوضح صاحب الظلال ما نقصده بالشعر الإسلامى : « ليس من الضرورى أن يكون دفاعاً ولا دفاعاً ، ولا أن يكون دعوة مباشرة للإسلام ، ولا تمجيذاً له أو لأيام الإسلام ورجاله ، وإن نظرة إلى سريان الليل وتنفس الصبح ممزوجة بشعور المسلم الذى يربط هذه المشاهد بالله فى حسه هى الشعر الإسلامى فى صميمه ، وإن لحظة إشراق واتصال بالله لكفيلة أن تنشئ شعراً يرضاه الإسلام » .

وتختتم السورة بهذا التهديد المخيف للظالمين يوم يرون العذاب فى جهنم ، وقد ظلموا أولاً بالشرك ، وثانياً بتكذيب الرسل ، وثالثاً بإنكارهم للقرآن ، ورمىهم له بأنه تنزل به الشياطين ، وقد أضافوا إلى ذلك ظلم العباد والصد عن سبيل الله ، والمنقلب هو انقلابهم من الطغيان إلى المهانة ونن رعد العيش إلى شدته .

ما ترشدنا إليه الآيات تريبوياً :

١ - وجوب استشعار أمانة تبليغ دعوة الإسلام والاهتمام بها .

٢ - الانفراد فى العبادة بعمل الصالحات .

٣ - تنوع وسائل الدعوة من خطبة وندوة ومقال وقصيدة شعر .